ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة(234)
يا إمام ... هل من خبرٍ أم أنّ الانتظار يطول ؟؟ (ج٥)
القلوب في انتظار القائم صلوات الله عليه صنفان : قلوبٌ قاسية وقلوبٌ منكسرة (ق١)
الاربعاء : ١٣/ربيع الاول/١٤٤٣هـ - الموافق ٢٠/١٠/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

في (كمال الدين وتمام النعمة) لشيخنا الصدوق/ طبعةُ مؤسّسة النشر الإسلامي/ قم المقدَّسة/ صفحة ٥٤٢/ رقم الحديث ٤٤/ إنَّهُ التوقيعُ الأخير، والّذي جاء فيه: **فَلَا ظُهُورَ** - والحديثُ عن ظُهورِ إمام زماننا صلواتُ الله عليه - **فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُوْلِ الأَمَدِ وَقَسْوَةِ القُلُوب** - المشكلةُ هي هذه، هذه مُشكلةٌ مُتفشيّةٌ في الواقعِ الشيعي (قسوةُ القلوب)، والحديثُ عن قسوةِ القُلوب هنا حديثٌ عن مصطلحٍ، هذا مصطلحٌ من مصطلحات الثقافة المَهدويَّة، فليس الحديثُ عن قسوةِ القُلوبِ هنا بما يعكسهُ لنا المعنى العرفي المعنى اللغوي، الحديثُ عن قسوة القُلوبِ هنا بنفسِ المنطقِ القُرآني، في العُرفِ اللغوي المرادُ من قسوةِ القُلوبِ أنَّ القُلوب تخلو من الرّحمة الَّتي تُلمَّ بالقلبِ حينما يُشاهدُ الإنسانُ ضعيفاً من البشرِ أو من الحيوانات، هُو بحاجة إلى مُساعدة فيحنو قلبُ الإنسانِ على ذلك الكائن الضعيف، مصداقٌ من المصاديقِ هذا، قسوةُ القُلوبِ الَّتي يتحدَّثُ عنها التوقيعُ المهدويُّ هذا ما هي هذه، قد تكونُ في جُملة مجموعِ المعنى، لكنَّ قسوة القلوبِ هنا اصطلاحٌ قرآنيّ.

في سورة الحديد، الآية السابعة بعد العاشرة بعد البسملة: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لذِكْرِ الله** - قسوةُ القلوب هي هذه الَّتي تُناقضُ هذا المعنى، القُلوبُ غيرُ القاسية هي القُلوبُ الخاشعةُ لذكرِ الله، وذكرُ الله عنوانٌ في الكتابِ الكَريمِ بحَسبِ ثقافة العترة الطاهرة، وبحسبِ تفسيرهم لقُرآنهم الَّذي بايعنا عليه في بيعة الغديرِ الأوَّل وفي بيعة الغَديرِ الثَّاني أيضاً، بحسبِ ثقافتهم بحسب تفسيرهم؛ ذكرُ الله عنوانٌ لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد، لأنَّهم الذكرُ الأكبر، لأ نَّهم الذكرُ الأعظم، لأنَّهم الـمَثَلُ الأعلى، هذه أوصافهم وهذه أسماؤهم في هذا الكتاب الكريم - **وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوْا الْكِتَابَ من قَبْلُ** - من اليهود والنَّصارى - **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون**﴾.

هذا التعبير جاء بعينه في التوقيع الشريف.

في سورة التوبة:

في الآيةِ الحادية والثلاثين: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله**﴾، هم لم يعبدوهم، وإنَّما الأحبارُ والرهبان شرّعوا ما شرّعوا لليهود وللنصارى من الدين بما يُخالفُ حقيقة الدين، وإنَّما شرّعوا ذلك كي يسرقوهم، كي يضحكوا عليهم، كما في الآية الرابعة والثلاثين من سورة التوبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله** ﴾، يأكلون أموال النَّاس بالباطل هم لم يفتحوا شركاتٍ ولم يُؤسسوا مَشاريع استثمارية، إنَّما هُم يأخذونَ الأموال منهم بعنوانٍ ديني، هكذا كانوا يَسرقونهم، بالضبط مثلما يفعلُ مراجعُ النَّجف وكربلاء حينما يسرقونَ الشيعة وفقاً لأحكامٍ دينيَّةٍ باسمِ صاحبِ الزَّمان، وصاحبُ الزَّمان أباحَ الخُمس لشيعته، وهؤلاء يسرقونَ الشيعةَ باسمِ صاحبِ الزَّمان، الحكايةُ هي الحكاية.

قسوةُ القُلوبِ ترتبطُ بأمرين:

- الأمرُ الأوّل: ما أدخلوهُ من طعام حرامٍ لعقولهم.

- وما أدخلوه من طعام حرام لبطونهم، لبطون الأحبار ولبطون تلامذتهم ولبطونِ أتباعهم، وحتَّى الَّذين دفعوا الأموال فإنَّهم مأثومون.

في (غَيبَة النُّعمَاني)، طبعة أنوار الهدى، قم المقدَّسة، الطبعة الأولى، الصفحة الحادية والثلاثين: **بِسَنده، أَحْمَدُ بنِ الحَسَنِ الْمَيثَمي عَن بَعض أَصْحَابِ إِمَامنَا الصَّادق** - عَن رَجُل من أصحابِ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه، إمامنا الصَّادقُ يقول: **نَزَلَت هَذه الآيَةُ** - الَّتي في سورة الحديد؛ **"وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون"**؛ **نَزَلَت هَذه الآيَةُ فِي أَهْلِ زَمَانِ الغَيْبَة** - هذا هو تفسيرهم، هذا كلامُ إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه - **ثُمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: "أَنَّ الله يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا"** - في الآيَة الَّتي بعدها - **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون"**.

وقالَ إمامنا الصَّادقُ بعد ذلك: **إِنَّمَا الأَمَدُ أَمَدُ الغَيْبَة** - **"فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ"**، الإمامُ يحصرُ المعنى في هذه الجملة: **إِنَّمَا الأَمَدُ أَمَدُ الغَيْبَة**.

من هنا جاء التوقيع الشريف: (**فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بَعْدَ طُوْلِ الأَمَدِ وَقَسْوَةِ القُلُوب**) مشكلتنا هنا؛ في قسوة القلوب، أمّا طُولُ الأَمَد فليس بأيدينا، فقد طالت الغَيبَةُ وطال الأَمَدُ كَثيراً، الغَيبَةُ الأولى وصلت إلى ما يُقاربُ السَبعين من السنين، أمَّا هذه الغَيبَةُ فقد طالت وطالت قُرُوناً وقرون، بدأت هذه الغَيبَةُ مُنذُ شعبان سنة ٣٢٩ للهجرة، وها نحن في شهر ربيع الأول سنة ١٤٤٣ للهجرة، فقد طالَ الأَمَدُ، فَطُولُ الأَمَد ليس بأيدينا ، لا نستطيعُ أن نصنع شيئاً، مُشكلتنا في قسوة القلوب.

فقسوةُ القُلوبِ إنَّما تأتي في الأجواء المرتبطة بشؤون إمام زماننا بشكلٍ مباشر، إنَّها الرِّسالة الَّتي وجَّهها إلى الشيعة عبر الميرزا مهدي الاصفهاني: (**طَلَبُ الْمَعَارِفِ من غَيْرِ طَرِيقِنَا أَهْلِ الْبَيْتِ مُسَاوِقٌ لِإِنْكَارِنَا وَقَد أَقَامَنِي الله وَأَنَا الحُجَّة بنُ الحَسَن**)، هذه هي قسوةُ القلوب، ليس الحديث عن رأفة في القلبِ باتجاهِ عوائلنا، أطفالنا، باتجاهِ أرحامنا، أصدقائنا، باتجاهِ ما نراه من حاجةٍ ومن ضعفٍ ومن أذىً يُعاني منهُ هذا الإنسان أو ذاكَ الإنسان، من

ديننا أم من غير ديننا، فليسَ المرادُ هذا المعنى، خلاف الرحمة قسوةٌ، لكنَّ القسوة هنا الَّتي يتحدَّثُ عنها التوقيعُ الشريف هذهِ قسوةٌ اصطلاحيّةٌ، مثلما مرت علينا الآيةُ وهي تتحدَّثُ عن خُشوعِ القُلوبِ لذكرِ الله.

صنفانِ من القُلوب:

- قُلوبٌ قاسيةٌ.
- وقُلوبٌ مُنكسرةٌ.

(**أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُم** - سُبحانه وتعالى هو الَّذي يقول)، القُلوبُ المنكسرةُ هي القُلوبُ المنكسرةُ في فناءِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، وبدايةُ الانكسارِ من التسليم أن نُسَلِّم لهم، وهذا موضوعٌ واسعٌ، لكنَّني سأقرأ بعض الأحاديثِ لتقريبِ الفكرة والصورة.

في مختصر البصائر:

والكتابُ في أصله لسعد الأشعري القُمِّي من أصحابِ أئمَّتنا، والَّذي اختصرهُ الحسنُ بن سليمان الحلّي من عُلماء الشيعة في القرن الثامن الهجري، طبعةُ مؤسّسة النَشر الإسلامي، قم المقدَّسة، صفحة (٢٢٣)، رقم الحديث (٢١٦): **بِسنده، عَن زَيد الشَحَّام، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامُه عَليه، قَالَ: قَالَ لِي** - زيدٌ الشحام يقول - **قَالَ لِي الإمَامُ الصَّادقُ صَلواتُ الله عَلَيه: أتَدْرِي بِمَا أمَروا؟** - الإمام يتحدَّثُ عن النَّاس عن الأمَّة عن الشيعة، بأيِّ شيء أُمرت الشيعة؟ - **أمروا بِمَعْرِفَتنا** - هذا الأمر ليسَ خاصاً بالشيعةَ، لكنَّني لأنَّني أتحدَّثُ عن الشيعة هنا فأجعلُ الكلام خاصّاً بهم، الشيعةُ هم الأوَلى أن يتوجّه إليهم هذا الأمر، وإلَّا فهذا الأمر موجّهٌ لكُلِّ الآدميين - **أمروا بِمَعْرِفَتنا وَالرَّدِّ إلَيْنَا وَالتَّسْلِيمِ لَنَا** - هذا هو تعريفُ دينِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله عليهم.

حديثٌ آخر صفحة (٢٣١)، رقم الحديث (٢٣٤): **بِسنَده، عَن أبِي الصَبَاحِ الكنَانِي الخَيْبَرِي، قَالَ، قُلتُ لأبِي جَعفَرٍ** - للباقرِ صلواتُ الله عليه - **إنَّا نَتحَدَّثُ عَنْكَ بِحَديث فَيَقُولُ بَعْضُنَا قَوْلُنَا قَوْلُهُم** - قَولُنَا قَولُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، لا نُناقش في شيء، نحنُ مُسلِّمونُ لهم، الإمامُ الباقرُ يقولُ لأبي الصَباح هذا - **فَمَا تُرِيدُ؟ أتُرِيدُ أنْ تَكُونَ إمَامَاً يُقْتَدَى بِكْ؟ مَنْ رَدَّ القَوْلَ إلَيْنَا فَقَد سَلَّم** - كَان مُسَلِّماً ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، في سورةِ المؤمنون الآيةُ الأولى بعد البسملة في تفسيرهم "قَد أفلَحَ الْمُسَلِّمون"؛ الْمُسَلِّمونَ لعليٍّ وآل عليّ.

حديثٌ جميل في الصفحة نفسها، رقم الحديث (٢٣٦): **بِسنده، عَن الفُضَيل بنِ يَسَار، قَالَ: دَخَلتُ عَلَى أبِي عَبْد الله أنَا وَمُحمَّدُ بنُ مُسْلم** - الفُضَيل ومُحمَّد، إنَّهُ مُحمَّدٌ بن مسلم الطائفي من خيرةِ أصحابِ الأئمَّة - **فَقُلْنَا** - الفُضَيل ومُحمّد - **مَا لَنَا وَلِلنَّاس** - نَحنُ لا شأن لنا بالنَّاس، هل مدحونا ذمّونا، هل ذهبَ النَّاس يميناً، هل ذهبَ النَّاس شمالاً - **بِكُم وَالله نَأتَم وَعَنْكُم نَأخُذ، وَلَكُم وَالله نُسَلِّم، وَمَن وَلَّيْتُم وَالله تَوَلَّينَا وَمَنْ بَرِئتُم مِّنْهُ بَرِئنَا مِنْه، وَمَنْ كَفَفْتُم عَنْه كَفَفْنَا عَنْه** - كَفَفْتُم عَنه؛ لا أظهرتُم ولايتكم لهُ، ولا أظهرتُم براءتكم منه، إذا ما واليتم أحداً يا آلَ مُحمَّد نحنُ نُواليه، وإذا ما تبرَّأتم من أحدٍ نحنُ نتبرَّأ منه - **فَرَفَعَ أبُو عَبدِ الله** - إمامنا الصّادق - **يَدَهُ إلَى السَّمَاء وَقَالَ: وَاللهِ هَذَا هُوَ الحَقُّ الْمُبِين** - رفعَ يدهُ لتأكيد قَسمه ويمينه.

هذا المضمونُ تُجملهُ كلمةُ إمامنا الصَّادقِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه في رواية التقليد:

في تفسير إمامنا الحسنِ العسكري صلواتُ الله وسَلامهُ عليه، إمامنا الصَّادقُ بعد أن تحدَّثَ عن قلَّة قليلة من مراجع التقليد عند الشيعة الَّذين يكونون مرضيين عند إمام زماننا، وتحدَّثَ عن أكثر مراجع التقليد عند الشيعة زمان الغَيبَة الكُبرى ووصفهم بأخطر الأوصاف؛ من أنَّهم أضر على الشيعة من جيش يزيد على الحُسين بن عليٍّ وأصحابه، هُم أضرّ على الشيعة من شمر ومن حرملة، إلى أن يقول إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: **لَا جَرَمَ أنَّ مَن عَلمَ اللهُ من قَلْبِه من هَؤُلَاء العَوَامّ** - الإمامُ يتحدَّثُ عن عوامِ الشيعة - **أنَّهُ لَا يُرِيْدُ إلَّا صِيَانَة دِيْنه وَتَعْظِيْمَ وَلِيِّه** - هذه بدايةُ التسليم، القُلوبُ المنكسرةُ بدايةَ انكسارِها في التسليمِ لمُحمَّد وآل مُحمَّد - **لَم يَتْرُكْهُ فِي يَد هَذَا الْمُلَبِّس الكَافِر** - الإمامُ يتحدَّثُ عن مراجع التقليد عندَ الشيعة عن المراجع الكبار الَّذين تُقلِّدهم أكثرُ الشيعة - **وَلَكِنَّهُ يُقَيِّضُ لَهُ مُؤْمِناً** - فقيهاً مُؤمناً - **يَقِفُ بِه عَلَى الصَّوَاب، ثُمَّ يُوَفِّقُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْقَبُولِ مِنْه فَيَجْمَعُ لَهُ بِذَلِكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَيَجْمَعُ عَلَى مَن أضَلَّهُ** - من مراجعِ الشيعة الأكثر في زمانِ الغَيبَةِ الكُبرى - **لَعْنَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الآخِرَة** - هذا هو التسليم، فهذا ما هُو بتسليمٍ للفقيه، هذا تسليمٌ لمُحمَّد وآل مُحمَّد عبر الفقيه، فإنَّ الفقيهَ نقلَ حديثهم، فإنَّ الفقيهَ نقل فقههم، فإنَّ الفقيهَ نقل تفسيرهم، فإنَّ الفقيه نقلَ عقائدهم، لا يجوزُ لنا أن نُسَلِّمَ لغيرِ المعصوم، لا يجوزُ لنا أن نُسَلِّم حتَّى للنَّائبِ الخاصّ الَّذي يأمرنا الإمامُ بالتسليم إليه، نحنُ سنُسَلِّمُ إليه طاعةً لإمامنا..

في (كمال الدين وتمام النعمة)، الطبعة الَّتي أشرتُ إليها قبل قليل، صفحة (٤٧٣)، الحديث (١٩)، الحديثُ التاسع عشر: **بِسنده، عَن إبْرَاهِيم بنِ مَهْزِيَار** - الَّذي وُفِّقَ للقاء خاصٍّ مع إمامِ زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه، الرواية طويلةٌ صفحة (٤٧٦)، حدَّثهُ إمامُ زماننا عن أبيهِ الحسنِ العسكري من أنَّهُ قال لهُ: **وَاعْلَم أنَّ قُلُوبَ أهْلِ الطَّاعَة وَالإخْلَاص نُزَّعٌ إلَيْك مِثْلَ الطَّيْرِ إلَى أوْكَارِهَا** - الكلامُ طويلٌ، هذا هو تفصيلُ التسليم، في أعلى درجاته، فالتسليمُ طاعةٌ وإخلاصٌ في الوقت نفسه، ولا انفكاكَ بين الطاعة والإخلاص، إذا أردنا أن نرفعَ هذين العنوانين ونقول: "وَاعْلَم أنَّ قُلُوبَ أهْلِ التَسْلِيم"، لكانَ الكلامُ دقيقاً، لكنَّ الإمام أراد أن يُفصِّلَ معنى التسليم، فإمامنا عند القُلُوب المنكسرة، والقُلوبُ المنكسرةُ عند إمام زماننا أيضاً، أمّا القلوب القاسيةُ فإنَّهُ يكرهُ جوارها.

سأذهبُ مُستمراً في قراءة الحديث إلى جهة أخرى ترتبطُ بالَّذي أتحدَّثُ عنهُ في هذه الحلقة، صفحة (٤٧٧)، لا زَالَ إمام زماننا يُحدِّث إبراهيم بن مهزيار عَمَّا حدَّثهُ به والدهُ الحسنُ العسكري، حيثُ أخبرهُ عن البيعة ما بين الركن والمقام، فَقَالَ لَهُ: **تَلُوذُ بِفِنَائِكَ من مَلَأ** - من قوم - **بَرَاهُم اللهُ مِن طَهَارَةِ الوِلَادَة وَنَفَاسَة التُّرْبَة** - والمرادُ من التربة الأصل، إنَّها الطينة الَّتي يُخلَقُ الإنسان منها - **مُقَدَّسَةٌ قُلُوبُهُم** - الحديثُ عن القُلوبِ المنكسرة،

وهذا وصفٌ لأعلى مراتبِ هذه القُلوب، إنَّها قُلوبٌ مُذعنةٌ مُسَلِّمةٌ، إنَّها قُلُوبٌ مُشبَعةٌ بمعرفة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ولذا فهي مُسَلِّمةٌ تترقَّى في أعلى درجات التسليم حتَّى تصل إلى السَّالميّة، السَّالميّةُ ما بعد التسليم، فأعلى مراحلِ السَّالميّة هو التقديسُ والقُدس، إنَّها الطهارةُ: **مُقَدَّسَةٌ قُلُوبُهُم** - مُطهّرةٌ هذا هو المراد - **من دَنَسِ النِّفَاقِ، مُهَذَّبَةٌ أَفْئِدَتُهُم مِنْ رِجْسِ الشِّقَاقِ، لَيِّنَةٌ عَرَائِكُهُم لِلدِّين** - عرائكُهم؛ طبائعهم النَّفسية وخلجاتهم المعنويّة وطواياهم الروحية - **خَشْنَةٌ ضَرَائِبُهُم عَنِ العُدْوَانِ** - الضَّرائب؛ إنَّها الخصالُ إنَّها الطباعُ العميقة في النَّفس - **وَاضِحَةٌ بِالقَبُولِ أَوْجِهُهُم، نَظِرَةٌ بِالفَضْلِ عِيْدَانُهُم** - عيدانُهم؛ قامتهم فأبدانهم لا يخالطها الحرام - **يَدِينُونَ بِدِيْنِ الحَقِّ وَأَهْلِه** - الحقَّ ولايةُ علي، وأهلُ الحقِّ هُم علي وآلُ علي، والمضامين هذه من بديهيّات ثقافة العترة الطاهرة، كلامٌ جميلٌ وجميلٌ جداً وبحاجة إلى شرحٍ طويلٍ مُفصَّل، هذا شرحٌ وبيانٌ لِما تقدَّم في العبائر الَّتي تلوتها عليكم قبل قليل؛ "وَاعْلَمَ أَنَّ قُلُوبَ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالإِخْلَاصِ نُزَّعٌ إِلَيكَ مِثلَ الطَّيرِ إِلَى أَوْكَارِهَا".

فالبداية من هنا:

- من أنَّ الشيعي لا يريدُ إلَّا صيانَة دينه وتعظيم وَليِّه، وهكذا يترقَّى في التسليم.
- وإذا ما بلغ إلى الذروة في التسليمِ فما بعد التسليم تأتي السَّالميّةُ.

والسَّالميّة هي الإخلاصُ في أعلى درجاته الَّذي سيترقَّى إلى الخُلُوص، هُناك إخلاصٌ وهُناك خُلُوص وهي السَّالميّة، قطعاً كُلٌّ بحسبِ درجته، كُلٌّ بحسبِ معرفته، فالْمُخْلِصُونَ ما هُم على معرفةٍ واحدة وما هُم على درجةٍ واحدة، وَالْمُخْلَصُونَ كذلك.

- **الْمُخْلَصُونَ هُم أصحابُ الخُلُوص.**
- **وَالْمُخْلِصُونَ هُم أصحابُ الإخلاص.**

وَكُلَّ قومٍ لهم شؤونهم ولهم نواياهم ولهم مراتب عقولهم.

وأعلى درجات السَّالميّة هو هذا الَّذي تتحدَّثُ هذه الرواية عنه: (**مُقَدَّسَةٌ قُلُوبُهُم مُطَهَّرَةٌ قُلُوبُهُم من دَنَسِ النِّفَاقِ**).

هذا الخطابُ الَّذي نُوجِّههُ لأنصارِ الحُسَين في زيارتنا لهم: (**السَّلَامُ عَلَيكُم يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَس**)، يَا أصحابَ الحُسَين، يا ليتنا كُنَّا معكم، يا ليتنا كُنَّا مثلكم، يا ليتنا قاربنا أفنية طاعتكم وتسليمكم وسالميتكم للحسَين، كُنتم مُسَلِّمين لِلحُسَين وكُنتم سَالمين للحُسَين، يا أنصارَ فَاطِمَة الزَّهْرَاء سَلَامٌ عَلَيكُم يَا طَاهِرِينَ مِنَ الدَّنَس.

الرسالتانِ اللَّتانِ وصلتا إلى الشيخ المفيد:

ومِراراً وكِراراً أعودُ إليهما في برامجي، لأنَّ هاتين الرِّسالتين هُما آخرُ ما وصل إلينا من إمام زماننا بشكلٍ واضحٍ وصريح، على طُولِ زمانِ الغَيبَة الطويلة، من بعد الرسالتين لم يصل إلينا شيءٌ إلَّا عبر لقاءات بعض الشيعة مع صاحبِ الأمر.

في الجزءِ الثالث والخمسين من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي، طبعة دار إحياء التراث العربي، صفحة (١٧٥)، من الرِّسالة الأولى الَّتي وصلت إلى الشيخ المفيد في السنة العاشرة بعدَ الأربعمائة من الهجرة، الإمام يُخاطب الشيعة وهو خطابٌ للشيعة في ذلك الزَّمان، وللشيعة في زماننا هذا، وسائر الأزمان، لأنَّنا بقينا على الضلال نفسه، بل حينما أسَّس الطوسيّ المشؤوم حوزتهُ المشؤومة في النَّجف ازدَاد الأمرُ ضلالاً وصارَ التَّيهُ مُضاعفاً: **فَإِنَّا يُحِيطُ علْمُنَا بِأَنْبَائِكُم وَلَا يَعزُبُ عَنَّا شَيءٌ مَن أَخْبَارِكُم وَمَعْرِفَتُنَا بِالزَّلَلِ الَّذي أَصَابَكُم** - لماذا يا ابن رسول الله؟ - **مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِّنْكُمْ** - من مراجع الشيعة - **إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا العَهْدَ المَأْخُوذَ مِنْهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُم لَا يَعْلَمُون** - سوَّد الله وجوهَهُم، قبحهم الله خانوا إمامَ زمانِنا، أتعرفون ما معنى نَبَذوا؟

النَّبذُ في اللغة هو الإبعادُ، هو رميُ الشيء بعيداً، هكذا يقولون في اللغة النَّبذُ هو رميُ الشيء إمَّا أماماً أو أن يكون من وراء الإنسان، فمرَّةً أقومُ برمي شيء أمامي حينما أكون مُتنَفِّراً منه فإنَّني سألقي به ورائي كي أزداد بُعداً عنه كُلَّما تقدَّمت خطواتي، هذا هو الَّذي فعلهُ أكثرُ مراجعِ الشيعة.. إلى أن يقول إمام زماننا مُبيناً موقفهُ من الشيعة بشكلٍ عام ومن مراجعهم بشكلٍ خاص في آخرِ الرِّسالة الثَّانية صفحة (١٧٧): **فَمَا يَحْبِسُنَا عَنْهُم** - نحنُ قد ابتعدنا عنهم، عن الشيعة عُموماً وعن مراجعهم خُصوصاً - **إِلَّا مَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ وَلَا نُؤْثِرُهُ مِنْهُم** - وقطعاً أكثرُ الكراهيةِ تتوجَّهُ إلى المراجع لأنَّهم هُم أساسُ المشكلة، هُم الَّذ ين جنحوا إلى ما كان السَّلَفُ الصَّالِحُ عنهُ شَاسعاً، وهُم الَّذين نبذوا العهدَ المأخوذَ منهُم ورَاءَ ظُهُورهم كأنَّهم لا يعلمون، عوامُّ الشيعة كانوا تبعاً لهم، عوامُّ الشيعة حينما نقضوا بيعةَ الغدير نقضوا بيعة الغدير وفقاً لمراجعهم هؤلاء.

القلوب القاسيةُ إذا ما لُعنت فإنَّ بابَ التوفيقِ سيسَدُّ في وجهها، وهذه مُشكلةٌ كبيرةٌ لا مجالَ للخلاص منها، الَّذين يُريدونَ الالتصاقَ بفناء إمامِ زماننا، الَّذينَ يُريدون أن يُوفَّقوا لخدمة إمام زماننا، مثلما يقول إمامنا الصَّادقُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: (**لَوْ أَدْرَكْتُهُ** - لَو أدركتُ القَائمَ - **لَخَدَمْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي**)، الَّذينَ يريدون أن يتمثَّلوا بشيء من هذه المضامين هُم بحاجة إلى التوفيق، من دُونِ التوفيقِ لن ينالوا شيئاً مهما فعلوا ومهما قالوا، هُناكُ من القلوب القاسية من ينالُها التوفيق، إذا ما صَحَّت النيَّةُ عندَ أصحابها للسيرِ في النَّهج الصَّحيح، في نهجِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد ولتطهيرِ تلكَ القُلوبِ من الحرام الَّذي حلَّ فيها من حرامِ طعامِ العُقول ومن حرام طعام البطون.

في (كمال الدين وتمام النعمة)، من باب التوقيعات، صفحة (٥٤٩)، توقيع خطيرٌ هذا الَّذي جاء من النَّاحية المقدَّسة من صاحبِ الأمر: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم؛ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْن** - المرادُ من النَّاس هُنا شيعتُهم، إنَّما شيعَتُنا النَّاس وغيرهم، غير الشيعة هكذا وصفوهم بالنَّسناس - **عَلَى مَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِنَا دِرْهَماً حَرَاماً** - دِرهمٌ لا قيمة لهُ، من مالِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، الإمامُ لم يتحدَّث عن أنَّ الآكلَ هذا هَلْ هُوَ قَاصدٌ لأكلِ الحرام أم لم يَكُن قاصداً.

قد يقول قائلٌ: بحسبِ مُقدِّماتٍ عُرفيّةٍ فإنّ الفهم العرفي لهذا التوقيع يتعلَّقُ بالَّذينَ يكونون قاصدين لأكلِ الحرام وغاصبين لأموالهم، هذا الاحتمالُ موجودٌ، أنا لا أُنكرُ هذا الاحتمال، ولكنَّني لا أميلُ إليهِ لأنَّني لا أفهمُ النص لوحدهِ، وإنَّما أفهم النصوص وفقاً لقواعد التفهيمِ العلويّ، ووفقاً لمعاريض كلامهم، وأجمع الحقائق في لوحة واحدة مُتكاملة.

توقيعٌ آخر في المصدر نفسه في بابِ التوقيعات صفحة (٥٤٧): جوابٌ على سؤالِ سائلٍ من الشيعةِ وجَّههُ إلى النَّاحيةِ المقدَّسة، ووصل إلى إمام زماننا عبر السُّفراء، عبر الوكلاء، عبر رجالِ الغَيبة، هذا السائلُ يسأل عن ضياعٍ، بساتين، عقارات، مزارع، يسألُ عن ضياعٍ هي لإمام زماننا فيقول: هَل أَستطيعُ أن أتصرَّفَ فيها لمنفعة الضِّياع - **وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الضِّيَاعِ الَّتِي لِنَاحِيَتِنَا، هَلْ يَجُوزُ القِيَامُ بِعِمَارَتِهَا وَأَدَاءِ الخَرَاجِ مِنْهَا** - أداء الخَراج للدولة، إنَّها ضريبة الخراج الَّتي تُدفع للدولة - **وَصَرْفِ مَا يَفْضُلُ مِنْ دَخْلِهَا إِلَى النَّاحِيَةِ احْتِسَاباً لِلأَجْرِ** - أن تُنفَقَ في موارد الخير - **وَتَقَرّباً إِلَيْنَا** - السائلُ هكذا يسأل، بساتين، مزارع، حقول، عقارات، أراضي، يقول هَل يحقُّ لي أن أُعمِّرها، إمَّا بالبناء بالزراعة بأيِّ شأنٍ من شؤون الإعمار، وما يخرجُ من الأرباح أؤدِّي الخراجَ لدفع شَرِّ الدولة، إنَّهُ يتحدَّثُ عن الدولة العباسية، وأن أُنفق ما بقي من المَال بعد العِمارة وبعد الخراج أن أُنفقها في موارد الخيرِ احتساباً للأجرِ وتَقرباً لإمام زماننا!

الإمام هكذا يقول: **فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَصَرَّفَ مِنْ مَالِ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِه فَكَيْفَ يَحِلُّ ذَلِكَ فِي مَالِنَا** - على أيِّ أساسٍ حتَّى لو كُنتَ تُريد إعمارها، لا يحقُّ لكَ أن تُعمِّرَ أرض شخصٍ أو عقارَ شخصٍ من دُونِ إذنه - **مَن فَعَلَ شَيْئاً من ذَلِكَ مَن غَيْرِ أَمْرِنَا فَقَد اسْتَحَلَّ مِنَّا مَا حُرِّمَ عَلَيْه، وَمَنْ أَكَلَ مِنْ أَمْوَالِنَا شَيْئاً فَإِنَّمَا يَأْكُلُ فِي بَطْنِهِ نَاراً وَسَيَصْلَى سَعِيراً** - هذه هي القلوبُ القاسيةَ الَّتي أصحابُها يُطعِمُونَ عُقولهم طَعاماً حراماً، ويُطعِمون بطونَهم طعاماً حراماً طعاماً جهنمياً.

حتَّى لو كانت الأخماس هي أموالُ صاحبِ الزَّمان الَّتي أمرَ الشيعة بأن يُقدِّموها للمراجع، حتَّى لو كانَ الأمرَ هكذا مثلما يُكَذِّبُ مراجعُ الشيعة علينا فهل أذنَ لهم أن يصرفوا هذه الأموال في شؤون إعلاء مرجعيَّتهم وبَسط سُلطتهم على النَّاس؟ فهل أذنَ لهم أن يصرفوا هذه الأموال على طُلَّاب العلم في الحوزة؟ في أيِّ مكانٍ هذا؟! هذا إذا سَلَّمنا أنَّ الأخماس هي كما يقولون أموال صاحبِ الزَّمان عَندَ الشيعة والمراجعُ نُوَّابٌ لصاحبِ الزَّمان وهو الَّذي أمرهم أن يأخذوا هذه الأموال من الشيعة وأن يتصرَّفوا فيها، يجبُ عليهم أن يتصرَّفوا فيها بحسبِ ما هو يريد، فأين أخبرهم بإرادته وبطريقة صرف الأموال؟ ومتى أجازَ لهم أن يُنفقوا الأموال لشراء ذمم شيوخ العشائر مثلما يفعلُ السيستاني الآن؟

الطامَّةُ الكُبرى في ما وردَ عن إمام زماننا بخصوص هذا الأمر في توقيعِ إسحاق بن يعقوب وهو أهمُّ توقيعٍ في هذا الشأن، هكذا جاء في توقيع إسحاق بن يعقوب: **وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأَمْوَالِنَا فَمَنْ اسْتَحَلَّ مِنْهَا شَيْئاً فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النِّيرَانَ** - مُباشرةً بعد هذه الجملة: **وَأَمَّا الْخُمْس فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حِلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا لِتَطِيبَ وَلَادَتُهُم وَلَا تَخبُث** - هذا التوقيع وصل إلى السَّفير الثَّاني بخطِّ يَد الحُجَّة بن الحسن.

هذا هو نفس التوقيع الَّذي يضحكون عليكم بما جاء فيه: **(وَأَمَّا الحَوَادِثُ الوَاقِعَة فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيْثِنَا فَإِنَّهُم حُجَّتِي عَلَيْكُم وَأَنَا حُجَّةُ الله عَلَيْهِم)**، التوقيعُ لا يقبلونهُ، ولكنَّهم يأخذون هذا السطر كي يضحكوا به عليكم، وإذا قبلوا التوقيع فلماذا يقبلون هذه الفقرة ولا يقبلون بقيَّة الكلام؟! ما هي الرسالةُ واحدة، وكُلُّ الرسالة مكتوبةٌ بخطِّ الإمام الحُجَّة، هكذا وصلت إلى السَّفير الثَّاني.

أعود إلى هذه الجملة: **وَأَمَّا الْمُتَلَبِّسُونَ بِأَمْوَالِنَا فَمَنْ اسْتَحَلَّ مِنْهَا شَيْئاً فَأَكَلَهُ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ النِّيرَانَ** - استحلَّهُ، هُوَ يعلمُ هذه الأموالُ أموالُ صاحبِ الزَّمان لكنَّهُ يستحلُّها، من دون أن يأذن له الإمام، المتلَبسون، متلَبس يعني ما هو بصاحبِ المال، ولا هو في مقامٍ قد أحَلَّ لهُ الإمام، وإنَّما تلبَّس الموضوع تلبساً، كما تقمّص أبو بكرٍ الخلافة تقمّصاً، (**أَمَا وَالله** - كما يقول أمير المؤمنين في خطبته الشقشقيّة - **أَمَا وَالله لَقَد تَقَمَّصَها ابنُ أَبِي قُحَافَة**)، تقمّصها جعلها قميصاً، فالقميصُ ما هو بجزءٍ من الإنسان، وإنَّما هُوَ شيءٌ خارجٌ عن كينونة الإنسان.